طه حسين واللغة العربية

باقر محمد جعفر الكرباسي

المقدمة :

طه حسين علم من أعلام فكرنا المعاصر ، عاش حياته متعلماً ومعلماً ومناضلاً وداعياً من دعاة الحرية والتقدم والتعليم والثقافة العامة، والدارس لهذا الرجل يجد اتساعاً وشمولاً لم يكن معهوداً على النحو الذي ظهر به في حياة جيله من الكتاب والأدباء ، رافق هذا الاتساع والشمول اجتهاد دائم وبحث متواصل لم يعرف إلى الاطمئنان سبيلاً ، وقد اقترن هذا كله بمسألة عَدهّا هو أساس في وجود الثقافة وفي جوهر تكوينها، تلك هي مسالة الصدق الذي جَرَّ عليه متاعب كثيرة وكبيرة، توزعت بين العزل من الوظيفة والمحاكمة والحملات العنيفة القاسية التي تعرض لها من كتاب جيله والجيل السابق له ، وفي ذكرى تأبينه الأولى قال الشيخ عبد الله العلايلي (١٩١٣ – ١٩٩٦) رحمه الله : (عبقري شقَّ طريق الإبداع الفني ، وخلق جيلاً دفع بالأدب العربي إلى القمة : إن القصة ولا أجمل ، أو في النقد ولا أعمق ، أو في التحليل ولا أجمل ، أو في كسر القيود ولا أجرأ ، ويوم يرى فن النهضة نفسه في المرآة يرى وجه رجل واحد فقط ، كانوا يدعونه طه حسين)(١) .

ولاريب في أنّ العرب قد عشقوا لغتهم الجميلة وتباهوا بها وتماهوا معها، فكتبوا مقالاتهم الخالدة ، مما فيها من معان كبيرة وإلفاظ رصينة وصور موحية ومؤثرة ، فضلاً عن جمال الايقاع ، حتى أضحت مثالاً شعرياً ونقدياً للشعراء والنقاد والدارسين ، لامتلاكها عناصر البناء الفني كافة .

قال المستشرق الألماني الدكتور أ. فيشر : (لا اعرف لغة أغنى من اللغة العربية ولا أسلس قيادا ولا ارق حاشية)(٢) .

من هنا دعا طه حسين إلى إصلاح التعليم اللغوي ورفض كل دعوة للتغيير في اللغة العربية وإبدال حروفها ، بل تمسك بها لأنها لغة القرآن الكريم ، ولإنصاف هذا الرجل في هذه القضية كان هذا البحث ...

تمهيد :

طه حسين ... تعريف به

١٨٨٩ : ولد طه حسين في ١٤ نوفمبر من هذا العام في عزبة (الكيلو) التابعة إلى (مغاغة) بمحافظة المنيا بالصعيد الأوسط ، وكان أبوه موظفا وأنجب ثلاثة عشر ولدا ، سابعهم طه حسين .

١٨٩٥ : كفَّ بصرُه (أصابه الرمد ، فأهمل أياماً ، ثم دعي الحلاق فعالجه علاجاً ذهب بعينيه)(٣)

١٩٩٨ : حفظ القرآن الكريم .

١٩٠٢ : غادر قريته وتوجه إلى القاهرة طلباً للعلم في الأزهر ، وبعد أن أدّى امتحاناً في القرآن انتسب إلى الأزهر ، وسمع هناك آخر درسين ألقاهما الشيخ محمد عبدُهُ في الأزهر سنة ١٩٠٥ م .

١٩٠٥– ١٩٠٧ : حضر دروس المتوسطين في الفقه والنحو .

١٩٠٧ : بدأ الدروس مع الطلبة المتقدمين .

١٩٠٨ : بدأ يتبرم بالأزهر ، فلم يكن يحضر درس الفقه في الصباح على الشيخ بخيت ، ودرس الأدب على الشيخ السيد المرصفي . استاء منه شيخ الأزهر هو وصاحبه احمد حسن الزيات والشيخ محمود الزناتي ، فاظهر طردهم .

١٩٠٨ – ١٩١٤ : أنشئت الجامعة المصرية في سنة ١٩٠٨ فاختلف إليها طه حسين منذ البداية ، فسمع دروس أحمد زكي باشا في الحضارة المصرية القديمة ودروس اجنا تسيو جويدي في ادبيات الجغرافيا والتاريخ ، ثم سمع ليتمان يدرّس اللغات السامية ، ثم جاء نليّنو سنة ١٩١٠ وسمع منه دروساً في تاريخ الأدب العربي ، وكان في نفسه أثرٌ عميق ظل يذكره في حياته ، وحضر أيضاً دروس ميلوني في تاريخ الشرق

القديم وبخاصة تاريخ بابل وآشور وسومر ، وتعلم أيضاً الفرنسية ، وحضر دروس الأدب الفرنسي، وفي أثناء ذلك كان يحضرّ رسالة الدكتوراه ، التي نوقشت في ١٥ مايو ١٩١٤ بعنوان (في ذكرى أبي العلاء) ونال بها شهادة الدكتوراه بدرجة جيد جداً ، وهي أول رسالة علمية تمنحها الجامعة المصرية .

١٩١٤ : أوفدته الجامعة المصرية إلى فرنسا .

١٩١٥ : أفلست الجامعة المصرية فقررت إعادة مبعوثيها ، عاد طه حسين إلى القاهرة ، وبعد أن أصلح المركز المالي للجامعة قررت الجامعة إعادة مبعوثيها العائدين ، فاستقر طه حسين في آداب جامعة باريس .

١٩١٧ : حصل على درجة (الليسانس) في الآداب من السوربون بدرجة ١٦ من أصل عشرين .

١٩١٧ : في ٩ آب اقترن بالسيدة سوزان .

١٩١٨ – ١٩١٩ : فرغ من رسالة الدكتوراه عن ابن خلدون ونوقشت في يناير سنة ١٩١٨ ، ثم عمل بعدها دبلوم الدراسات العليا في تموز سنة ١٩١٩ .

١٩١٩ : عاد إلى مصر وعيّن مباشرة أستاذاً للتاريخ القديم (اليوناني والروماني) واستمر في ذلك حتى سنة ١٩٢٥ .

١٩٢٥ : ألحقت الجامعة المصرية بالدولة فأصبحت حكومية ، فعّين الدكتور طه حسين أستاذاً لتاريخ الأدب العربي في كلية الآداب .

١٩٢٦ : اصدر كتابه (في الشعر الجاهلي) فأثار ضجة هائلة ، اهم عوامل أثارتها كانت سياسية .

١٩٢٨ : عّينَ عميدا لكلية الآداب ، فاثأر ذلك أزمة سياسية ، وطُلب إليه أن يستقيل وحسماً للأمر قبل طه حسين بشرط أن يعّين أولاً ، فعيّن يوماً وقع فيه بعض الأوراق ، وفي المساء قدم استقالته .

١٩٣٠ : اختارت الكلية الدكتور طه عميداً ، وافق وزير المعارف على تعيينه ، وبعد يومين طلب منه أن يستقيل ليصبح رئيساً لتحرير جريدة الشعب ، فرفض وآثر البقاء في الجامعة .

١٩٣٢ : وفي هذه السنة حدثت الأزمة الكبرى في مجرى حياته الخارجية ، ففي شباط من سنة ١٩٣٢ كانت الحكومة تريد أن يمنح الدكتوراه الفخرية من كلية الآداب بعض السياسيين : علي ماهر وإبراهيم يحيى وعبد العزيز فهمي وتوفيق رفعة ، فرفض الدكتور طه حسين حفاظاً على مكانة الدكتوراه ، ودعاه حلمي عيسى وزير المعارف الى ذلك ، فأصرّ على موقفه ، فعدلت الحكومة عن كلية الآداب إلى كلية الحقوق ، ونتيجة لهذا الموقف قرر الوزير نقله إلى وزارة المعارف ، فنفذ النقل ، لكنه رفض العمل . وفي ٢٩ آذار أحيل الدكتور طه حسين إلى التقاعد .

١٩٣٣ : طلب إليه مصطفى النحاس أن يكتب في جريدة كوكب الشرق التي كان يصدرها حافظ عوض وحدث خلاف فاستقال من هذه الجريدة ، واشترى امتياز جريدة الوادي وتولى الإشراف على التحرير فيها حتى سنة ١٩٣٤ .

١٩٣٤ : أعيد إلى الجامعة أستاذاً في كلية الآداب .

١٩٣٦ : عين عميداً لكلية الآداب واستمر فيها حتى سنة ١٩٣٩ .

١٩٣٩ : في أواخر هذا العام انتدب مراقباً للثقافة في وزارة المعارف .

١٩٤٢ : عينه نجيب الهلالي مستشاراً فنيّاً لوزارة المعارف .

١٩٤٤ : أحيل إلى التقاعد حتى سنة ١٩٥٠ .

١٩٥٠ : عّين في ١٣ يناير ١٩٥٠ وزيراً للمعارف في الوزارة الوفدية ، واستمر في هذا المنصب حتى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، وفي أثناء توليه الوزارة قرر مجانية التعليم الثانوي والتعليم الفني .

١٩٥٢ : أحيل إلى التقاعد ، منصرفاً إلى النتاج الفكري والى ألوان من النشاط العلمي في المجامع العلمية التي هو عضو فيها : فهو عضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية والمجمع المصري ، وعضو مراسل لعدة مجامع وهيآت علمية في الخارج ، وحصل على الباشوية سنة ١٩٥١ ، وعلى وسام اللجيون دونير من طبقة جرائد أوفسيه وعلى الدكتوراه الفخرية من جامعة مدريد وجامعة كمبردج .